تبرير النظرية النحوية في فلسفة تشومسكي اللغوية

Justification of grammars for Noam Chomsky

أ. أنفال ولد بسطامي [1*]، د . لخضر مذبوح [2]

[1] مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة قسنطينة2 (الجزائر).

[2] مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة قسنطينة2 (الجزائر).

تاريخ الاستلام : 27 أكتوبر 2020 ؛ **تاريخ المراجعة :** 15 نوفمبر 2020 ؛ **تاريخ القبول :** 25 جانفي 2021

ملخص:

تتناول هذه الدّراسة مشكلة من أبرز مشكلات الفلسفة الغربية الرّاهنة وهي مشكلة اللغة عند نعام تشومسكي وتحديدا جانبها الابستيمولوجي الذي يتعامل مع العملية اللغوية بوصفها علما دقيقا يتسم بالصرامة المنطقية، وذلك لقيامها على اسس منهجية علمية انطلق فيها من دراسة عقل متكلم الانجليزية ليتوصل الى نظرية عامة في علم النحو رغم اختلاف المظاهر الالسنية التي تتميز بها لغات العالم ، وهو ما احدث ثورة علمية على مستوى الدراسة اللغوية، مما أثار الكثير من الجدل حول نظريته فانطلق يدافع عنها مقترحا مبررات القواعد النحوية التي قدّمها.

الكلمات المفتاحية: تبرير النحو؛ النحو الكلي؛ البنية العميقة؛ البنية السطحية؛ الحدس اللغوي.

Abstract:

This study deals with one of the most prominent problems of current Western philosophy, which is the problem of language for ostrich Chomsky, and specifically its epistemological aspect that deals with the linguistic process as an accurate science characterized by logical rigor. This is because it is based on a scientific methodology in which he started from studying the mind of an English speaker to arrive at a general theory in grammar despite the different linguistic aspects that characterize the world's languages., Which brought about a scientific revolution at the level of linguistic study, which sparked a lot of controversy about his theory, so he began defending it, proposing justifications for the grammatical rules that he proposed.

Keywords: Justification of grammars; Universal grammar; Deep structure; Surface structure; Linguistic intuition.

[*]Corresponding author: e-mail: bastami@outlook.fr .

- مقدمة:

نشأت النظرية التوليدية بزعامة تشومسكي في جو تنافسي، حيث تزامن ميلادها مع توالي الثورات العلمية مما فتح العديد من النوافذ الابستيمولوجية في شتى مجالات المعرفة اللغوية، مما جعله يخرج افكاره بموازاة مع البحث عن المبررات المنطقية التي من شأنها أن تدافع عن نظريته وتسمو بها عن قراءات الغير. ولا سيما فكرته القائلة بوجود قواعد نحوية كلية تشترك فيها جميع لغات العالم رغم اختلاف السنتها، استنادا الى معطيات الحدس اللغوي الذي تكلّم عنه ديكارت سابقا واعتمده تشومسكي راهنا كونه يعكس الجانب الفطري الذي يقدم المعرفة اللغوية المباشرة التي يولد الطفل مزوّدا بها، وهو يتيح نوعا من العمومية المطلقة التي تسعى اليها اللسانيات التوليدية . فكيف استطاع تشومسكي تبرير نظريته الكلية في اللغة؟ وماهي المبررات الابستيمولوجية التي قدمها لتبرير فكرة العمومية المطلقة لقواعد النحو ؟ وهل هناك روابط منطقية بين القواعد النحوية التي تصف جملة حدوس المتكلّم / المستمع المثالي وبين العمليات الحدسية في حد ذاتها؟

1- البحث في أساس نظري للعملية النحوية:

يعد البحث الذي قام به تشومسكي في اولى انطلاقاته حول كيفية تبويب وتوزيع الصيغ اللغوية دليلا واضحا عن تأثر تشومسكي بأبحاث أبيه في مجال النحو التاريخي historicalsyntaxlinguistics. حيث يقوم علم اللغة التاريخي historical linguistics على الاهتمام بإيجاد توضيحات للصيغ اللغوية المختلفة التي تشترك في صلتها باللغات في اطارها العام. (مور وكالرلنغ، د س، ص57).

تظهر هذه التبويبات في محاولة تفكيك الانتاج اللغوي إلى بنيتين أساسيتين ألا وهما : البنية العميقة deep structure و البنية السطحية structure surface وغيرها من التقسيمات التي أجراها تشومسكي يهدف وضع أساس يتسم بالوضوح و البساطة مثل تقسيم القواعد اللغوية الى ثلاث مكونات هي :

- المكون الفونولوجي Phonologicalcomponent

- المكون النحوي Syntactic component

- المكون الدلالي semantic component

ثم انطلق تدريجيا نحو المزيد من التجريد محاولا البحث عن الخصائص العامة التي يتميز بها نحو كل لغة على حدى .

يحاول تشومسكي البحث في اللغات الطبيعية للبحث عن اجابة للسؤال : كيف يستطيع العقل البشري أن يولّد مالا نهاية من الجمل انطلاقا من جملة واحدة ؟ هذا ما يعبر عنه في كتابه التراكيب النحوية قائلا أنه يمكن تمثيل قواعد المرحلة النهائية بيانيا في شكل مخطط الحالة على سبيل المثال يمكن للقواعد النحوية التي تنتج فقط الجملتين " الرجل يأتي " و الرجل " يأتي " أن نعبر عنها وفق المخطط كما هو موضح في الشكل التالي:

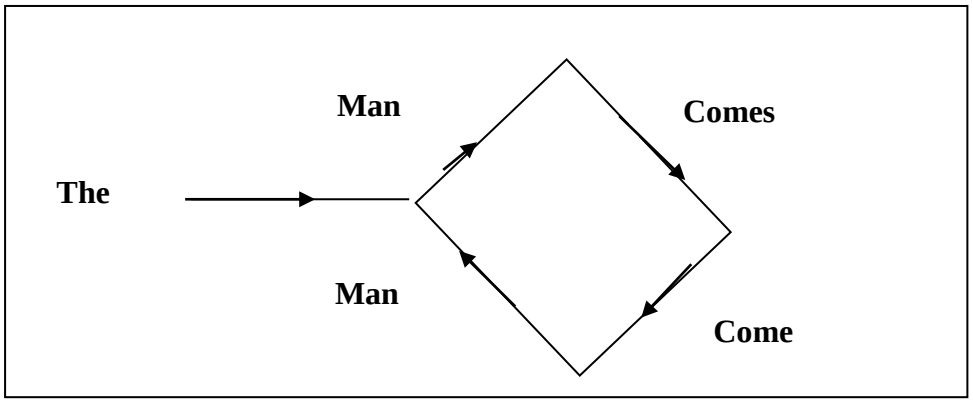

الشكل (01): يوضح مثال لـ " مخطط الحالة" في توليد العبارات
المصدر: Noam, 2002.p 04.

من خلال المخطط يمكننا أن نترجم العملية اللغوية على أنها لوح موصول بعدة مفاتيح تماما مثل الشبكة الحاسوبية حيث أن صحة المكون الدلالي تشترط تمام صحة المكون التركيبي ويمنح العلامات الأساسية للبنية العميقة بحيث مخرج المكون النحوي يشكل مدخلا إلى المكون الدلالي .

يعد البحث في الأسس النظرية لبناء نظريته عن النحو الكلي أولى انطلاقاته لتبرير نظريته فمن خلال هذه التقسيمات استطاع القول اللغات العالمية على اختلافها لا يمكنها أن تخرج عن نطاق هذه المكونات وان الرابط بينها مثل الرابط بين البرامج الحاسوبية التي يمكنها أن تتحكم في جميع الحواسيب على اختلاف انواعها .

2- البحث في اللغات الطبيعية:

قام تشومسكي بدراسة اللغات الطبيعية في إطار بحث يعرف بـ " Natural language processing " حيث يتجلى الهدف الرئيسي منه في ايجاد العلاقات بين اللغات الطبيعية وتبريرها . لأجل تبرير قواعدها النحوية و بالتالي التوصل الى تبرير العلاقات القائمة بين هذه القواعد.

تشمل اللغات الطبيعية مجمل الإشارات و الحركات و الأصوات التقليدية و الظواهر الجسدية التي تصحب الانفعالات و الأفكار، وقد سميت طبيعية لأنها لم تنشأ عن اتفاق مقصود بخلاف اللغة الوضعية التي نشأت بتواضع افراد الجماعة اللغوية المتخصصة في مجال معيّن مثل الجبر و الكيمياء وغيرها .

يستخدم تشومسكي مبادئ علم النفس المعرفي في دراسته للعلاقات القائمة بين اللغات الطبيعية حيث يحدد في كتابه "اللغة والعقل" ثلاثة مهام فرعية لعلم النفس:

- أولها : اكتشاف المخطط الفطري الذي يميز فئة اللغة المحتملة المميزة لجوهر اللغة البشرية .

- ثانيها : الدراسة التفصيلية للطابع الفعلي التحفيزي و تفاعل بيئة الكائن الحي التي تعمل على تشغيل الآلية المعرفية الفطرية .

- ثالثها تحديد ما تعنيه الفرضية الصحيحة حول القواعد التوليدية التي تفسر جميع البيانات اللغوية التي تم تقديمها ثم عرضها على نطاق لا حصر له من علاقات الصوت / المعنى (Noam Chomsky,2006,p79)

ومن خلال البحث في اللغات الطبيعية تمكن من الوصول الى دمج المكونات النحوية الثلاث المشار اليها آنفا مع نظريته في النحو الكلي حيث نجده يقول : «نظرية علم الاصوات الكلية تسعى لإنشاء الابجدية الصوتية الكلية ووضع نظام للقوانين، وتعرف الابجدية مجموعة من الاشارات الممكنة التي يتم رسمها على اشارات لغوية معينة (Noam Chomsky,2006,p108).»

تتحقق هذه المقولة بالفعل في العديد من اللغات الطبيعية حيث نجد اللغة العربية تحتوي ثمان وعشرين حرفا في حين تحتوي اللغتين الفرنسية والانجليزية على ستة وعشرون حرفا ، وهي في عمومها تشترك من حيث الاصوات ومثال ذلك : (س،s) ، (ن، n).....الخ.

أما بالنسبة للمكون التركيبي فيبرره تشومسكي قائلا : «من الواضح أنه يجب على المكون التركيبي أن يكون له عدد محدود من القواعد (أو المخطط القاعدي) ، وفي الوقت ذاته ينبغي على هذه القواعد أن تكون مستعدة لأن يتم تنظيمها على نحو لا حصر له من الازواج س،s، ع،d» (Noam Chomsky,2006,p123). حيث ترمز "س"s" الى البنية السطحية ، وترمز D الى البنية العميقة، فالقواعد اللغوية في مختلف اللغات يضبطها عدد محدد من القوانين كإضافة الحرف S في آخر الكلمات التي يتم تحويلها من المفرد إلى الجمع بالنسبة للغة الفرنسية مثلا، واضافة الالف والتاء في نهاية الكلمات المؤنثة التي يتم تحويلها من المفرد الى الجمع ايضا.

يجمع تشومسكي اشكال العبارات في مختلف اللغات الطبيعية في ستة عناصر كالآتي (Noam Chomsky, 1957, p38):

- الجملة : مركل اسمي + مركب فعلي S : NP + VP

- مركب اسمي: أداة التعريف (ال) +اسم NP + The+ N

- مكون فعلي : فعل + مركب اسمي VP : Verb + NP

- أداة التعريف (ال) T(The)

- الاسم N

- الفعل v

أما بالنسبة للمكون الدلالي فقد نزع تشومسكي الى استبعاده من نظريته عن النحول الكلي لصعوبة ايجاد قوانين عن المعنى تكون بدورها مشتركة بين جميع اللغات .

إن تأكيد تشومسكي على مسألة الفطرية يعتبر أحد أهم المبررات التي قدّمها لإثبات نظرية النحو الكلي فبما أنه قد اعتبر المخطط الفطري جوهر اللغة البشرية فإن القواعد النحوية واحدة بين جميع البشر وهذا ما يجعله يمضي قدما في تبرير جميع قواعد النحو.

ولتفادي أي شذوذ قد يؤدي إلى الانتقاص من نظريته أقر تشومسكي بضرورة استبعاد المعنى بالضرورة من ميدان التحليل اللغوي.(تيرينسموورو آخرون، دس،ص92).

يقول تشومسكي : « ونحن نحاول على مستوى التفسير أن نبين النظام الثابت غير المتنوع الذي نستطيع حرفيا أن نشتق منه اللغات الانسانية المختلفة والممكنة ».(نعامتشومسكي،1990،ص101)

حيث يرى أنه مهما اختلفت لغات البشر فإنها تنطلق أساسا من نظام نحوي ثابت غير متنوع مما يسهل العمل الابستيمولوجي على الباحث في مجال اللسانيات على الرغم من صدور هذه الأنظمة النحوية عن شبكة متداخلة من العمليات العقلية التي تحدث داخل عقل / دماغ المتكلم.

حيث أنه بإمكاننا العمل على متغيرات لغة ما لنصل إلى لغة أخرى فلو استخدمنا هذه المتغيرات بطريقة معينة يمكننا اشتقاق خصائص اللغة الهنغارية و بوضعنا لهذه المتغيرات بطريقة اخرى يمكننا أن نشتق خصائص لغة الاسكيمو ... وهكذا (نعامتشومسكي،1990،ص101).

ان الكشف عن هذه المتغيرات اللغوية هو الذي يسهل للباحث عملية اشتقاق عدد قليل من المبادئ النحوية التي تتجسد على هيئة قواعد نحوية مشتركة بين اللغات وهي ما يعرف بقواعد النحو الكلي .

يقول تشومسكي : «يسمح النحو الكلي بعدد من المقولات التي تدخل تحتها الألفاظ المعجمية وهي أساسا اربعة: الأفعال، و الأسماء، والصفات، وحروف المعاني ... ويعطي النحو الكلي لكل واحدة من هذه المقولات الاربع الأساسية اسقاطا تحتل فيه هذه المقولة موضع الرأس: أي المركب الفعلي و المركب الاسمي و المركب الحرفي » .(نعامتشومسكي،1990،ص102).

اذ أننا لو تأملنا اللغات على اختلافها : الانجليزية ، الاسبانية ، الفرنسية ... الخ سنجد أن المركبات النحوية المتعلقة بها لا تخرج عن هذه المقولات مع الاحتفاظ بخصوصية كل لغة على حدى .

3- تبرير القواعد النحوية:

يقول تشومسكي : « قبل الدخول مباشرة في التحقيق في المكون النحوي للنحو التوليدي من المهم التفكير في العديد من الأسئلة المنهجية و الكفاية».,(Noam Chomsky,1956 ,p46) حيث يسعى تشومسكي جاهدا إلى الموازاة بين اخراج نظريته إلى العيان وبين تبريرها بمبررات منهجية.

يرى تشومسكي أننا اذا ما استطعنا أن نبني صيغة لقواعد شكلية معينة بشكل دقيق وعلى وفق المبادئ ذاتها التي طبقت على بناء القواعد النظرية الناجحة لتفسير نحو اللغات الاخرى فعندئذ تعد هذه الصيغة أكثر قبولا للتبرير المنطقي العلمي و أكثر قوة من القواعد التوليدية التي تتلاءم فقط مع نحو لغة واحدة لا أكثر ، لقد اطلق تشومسكي على جهوده التي بذلها لإيجاد مبادئ واضحة لبناء قواعد شكلية ناجحة تطويرا لنظرية عامة للبنية اللغوية تسمية مبادئ النحو العام .(تيرينسموورو آخرون،دس،ص99)

حيث أنه في بداية مسعاه كان يطلق على نظريته " النظرية العامة للبنية اللغوية" the general theory of linguistic structure وعندما وجد لها قبولا على الصعيد الالسني سعى إلى تطويرها ليخرجها في حلتها الجديدة باسم " النحو الكلي universal grammar" .

يقول تشومسكي : « نرى أن البحث اللغوي linguistic research له جانبان : فهو يهدف أولا إلى توفير نظرية لكل لغة تتفاعل مع بنيتها (أي مع نحو تلك اللغة) وهو يهدف ثانيا إلى تطوير نظرية عامة للبنى اللغوية تكون قادرة على تقديم انموذج نظري متكامل»(نقلا عن، تيرينسموور وآخرون، دس، ص100).

فقد أدى البحث عن ايجاد تبرير داخلي لقواعد اللغة و قولبتها في إطار عام يضمن رصد جميع اللغات البشرية.

يقول تشومسكي : «من الواضح أن البيانات الفعلية للأداء اللغوي سيوفر الكثير من الأدلة لتحديد صحة الفرضيات المتعلقة بالبنية اللغوية الأساسية جنبا إلى جنب مع التقارير الاستبطانية (من قبل المتحدث الأصلي أو اللغوي الذي تعلّم اللغة) هذا هو الموقف المعتمد عالميا في الممارسات المنهجية في دراسة اللغة.(NoamComsky,1965,p46) »

اذ يهتم قبل كل شيء بمسألة الكفاءة اللغوية منطلقا من التساؤل : كيف يمكن للمرء الحصول على معلومات حول كفاءة المتحدث وعن معرفته باللغة ليكون الأمر أكثر منهجية في رصد التغيرات اللغوية المشتركة بين البشر.

يعتقد تشومسكي بأنه من أجل تكوين هذه الحالات الواضحة من النوع الذي يمكن الوثوق بصحتها والتي تتألف حالات واضحة من الجمل التي يتم الحكم عليها بأنها صحيحة من ناحية البناء النحوي بغض النظر عن كونها ذات معنى أم لا (تيرينسموور وآخرون، دس، ص111).

حيث يرى تشومسكي أن العبارة تكون مقبولة ومبررة فقط اذا كان بناؤها الشكلي صحيحا بصرف النظر عما اذا كان لها معنى ام لا ، اذ يمكن للجملة أن تكون فارغة من المعنى لكنها في الوقت نفسه سليمة من الناحية النحوية.

4- الحدس اللغوي في النظرية التوليدية:

يحاول علماء النظرية التوليدية الاجابة عن السؤال : هل هناك رابط ضروري بين مجموع القواعد التي تقدّم أفضل وصف لحدوس المتكلّم وبين مجموع العمليات التي يعتمد عليها المتكلّم نفسه في الوصول إلى الحدوس نفسها؟

يرى تشومسكي أن الجملة التي تولدها القواعد النحوية يجب أن تحظى بالقبول لدى المتكلم بما أنه يعتبرها نتيجة لما طوره من أشكال النحو استنادا إلى أن الحدس اللغوي عند المتكلم نقطة ايجابية تتناول التمييز بين مجموعة من الجمل المترادفة في المعنى أو الجمل ذات الحدس اللغوي .(جون ليونز،1987،ص31)

المعنى اللغوي للحدس عند علماء المنطق هو المعرفة أو الفهم غير الاستدلالي ، التي بفضلها يكون هذا الادراك ممكنا تماما كقولنا 1+1=2 (Robert,Audi,1999,p442).

وبالتالي يكون الحدس مثابة المعرفة المباشرة بالأشياء دون التعرف على الكيفية التي تم التوصل من خلالها لذا اقام ديكارت مفهوم الحدس على شرطين اثنين هما الوضوح والتميز. هذا ما يود تشومسكي الاستناد عليه في اتجاهه التبريري لقواعد النحو حيث يرجع ذلك إلى أحكام المتكلمين أنفسهم عن المعطيات اللغوية.

يستخدم تشومسكي مصطلح الحدس اللغوي بطريقة تقنية تتلخص في إصدار المتكلمين الأصليين جملة من الأحكام حول ما قدّموه من عبارات ونعتها بالصحة الدلالية ، حيث أن هؤلاء المتكلمين يمتلكون حدوسا قوية من الأصوات والكلمات التي تتشكل منها لغتهم .(Even and Green,2006 ,p16)

فمدى مقبولية المقولات النحوية تتحدد اذا بما يصطلح عليه تشومسكي بالحدس اللغوي لا بمعناها الدلالي فالمعرفة العقلية المباشرة التي تؤطر ذهن الانسان هي التي تتحكم في مدى قبول أو رفض العبارات النحوية بصرف النظر عما اذا كان لها معنى أم لا .

من هذا المنطلق يمكننا تفسير الملكة اللغوية ليس من منطلق أنها جملة القواعد الذهنية المفطورة في عقل / دماغ المتكلم فحسب بل بأنها حدس متكلم اللغة بمدى الصحة النحوية لما يقوله وهذا ما يظهر جليا تأثر تشومسكي بديكارت حول الأفكار الفطرية(Noam Chomsky,2006,04) .

وانطلاقا من هذا نجد المدرسة التوليدية تتناول الحدس على أنه مصدر للبيانات اللغوية الصحيحة بل وتربط فشل ونجاح كل نظرية لغوية بمدى وضوح المعطيات التي يحدسها المتكلم / المستمع.

الخاتمة:

من خلال هذا العرض الموجز يمكننا أن نستنتج أن مصطلح تبرير النحو قصد به تشومسكي مختلف الأطر الابستيمولوجية التي برر من خلالها نظريته النحوية وهو ما يمكن رصده في الخطوات الآتية :

_ عندما قرر تشومسكي وضع حجر الأساس لنظريته حاول البحث عن أساس ثابت يمكن أن يبني عليه نظريته فلجأ إلى عقلانية ديكارت لاسيما ما يتعلق بالأفكار الفطرية فأقر بأن الانسان يولد مزودا بملكة لغوية تكون مسؤولة عن فهم/ انتاج اللغة وبالتالي تكون هذه الملكة ثابتة في جميع العقول البشرية مالم يكن هناك عيب بيولوجي منذ الولادة وما دام العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس فإن الملكة اللغوية الفطرية موزعة بالتساوي بين العقول البشرية الناطقة.

- بحث تشومسكي في اللغات الطبيعية وحاول التوصل الى السمات المشتركة بينها .

- جمع تشومسكي تلك السمات ونظمها في نظرية نحوية أطلق عليها مصطلح النحو الكلي وسعى إلى تبريرها ، وهو ما أوضحه في أن عمليات التحويل المختلفة واحدة بين جميع اللغات .

- أما من حيث مقبولية لغة معينة فقد احتكم تشومسكي إلى الحدس اللغوي كمعرفة مباشرة بالمادة اللغوية التي يتكلمها المتكلم نفسه.

- تعتبر هذه المبررات بمثابة روابط منطقية من شأنها ان تبرهن العلاقات بين القواعد النحوية بين مختلف لغات العالم فيما بينها وبين الحدوس اللغوية ذاتها.

- المراجع:

01. Noam chomsky, **Aspects of the theory of syntax ,the mit press cambrige** , Massachusetts , London , England,1965.

, language and mind, Cambridge university press new York, 2006., on nature and language , Cambridge university press , New York , 2002.

New York, 2002.

_evans. V & M. green, cognitive linguistics , an introduction , Edinburgh university press . 2006.

Robert Audi, the Cambridge dictionary of philosophy, second edition, Cambridge university press, new York, 1999.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

ولد بسطامي أنفال، مذبوح لخضر، (2020)، **تبرير النظرية النحوية في فلسفة تشومسكي اللغوية** ، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، المجلد 11(العدد 2)، الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص 104-111.